قافلة الشهداء النسائية على أرض قندهار الأبية

فرسان تحت راية النبي

يرويها؛ سيف العدل
المسؤول العسكري بتنظيم القاعدة

في ليلة الأحد - ثالث ليالي الشهر المبارك، وبعد الساعة الواحدة ليلاً - إستيقظت وأنا أشعر بالقلق، فأحسست أن هناك خطراً قريباً مني، فأيقظت الإخوة الذين معي - وهم الشيخ أبو محمد الأبيض وعبد الرحمن المصري وأبو أسامة الفلسطيني - وبات معنا ليلتها الأخ أبو حسين المصري وفاروق السوري، حيث كنا نعمل في أحد المواقع في النهار وننام في بيتي الخالي في الليل -

أيقظت الجميع وأعلمتهم بقلقي، وقلت لهم؛ الآن نتسحر، فالله أعلم ماذا يحدث، لكن إذا سمعتم صوت صاروخ فاعلموا أنه لن يقع علينا، والفارق بين زمن كل صاروخ والآخر - إذا لم يطلقا معاً - من خمس إلى سبع دقائق، نكون خلالها جمعنا أنفسنا وأغراضنا وخرجنا.

فجأة سمعنا صوت انفجار كبير بعيداً، فسألت الإخوة بالمخابرة، فعلمت أن البيت الثاني لـ "مؤسسة الوفاء الخيرية" تم رصده أيضاً وضربه بصاروخ "كروز" بسبب فتح الشباب الستلايت فيه، وأسفر القصف عن استشهاد الأخ عبد الواحد.

تعجب الشباب من قلقي... وأعددنا طعام السحور، وجلسنا نأكل، وقبل أن ننتهي منه سمعنا صوت صاروخ يمر من فوق رؤوسنا مباشرة وانفجر على مسافة مائة متر من البيت، وعلى الفور شرعنا بالخروج، خشية أن نكون نحن المستهدفين من القصف، ويتم التصحيح علينا، خرجنا من البيت وآثار الدخان في طرف الشارع والطائرات تحوم في السماء!

كان يوجد في المكان الذي وقع فيه الصاروخ بيتان، أحدهما لأسر العرب ولكنه فارغ، والآخر "بوسطة" للطلبة، فظننت أنهم قصدوا الطلبة.

وتابعنا الطائرة، فإذا هي تطلق الصاروخ الثاني بعد خمس دقائق، فاستترنا منه، فنزل الصاروخ في منتصف

الطريق، فانتقلت بالإخوة على الأقـدام إلى موقع قـريب، وفي الطريق أخبرتـني دورية للطلبة أن الـبيت كـان فيه نسـاء عـرب، وقد استشـهد أخ وجـرح آخر نقلوهما إلى المستشـفى، أما النسـاء؛ فقد خـرجن جميعـاً وذهبن إلى القرى.

تحـركت للمستشـفى لأعـرف التفاصـيل من الأخ الجريح، وعندما وصلت طلبت رؤية الشـهيد، فـإذا هو الأخ عاصم اليمـني - المـدرب بالفـاروق - وذهبت إلى الجـريح فكان أبا عبد الرحمن الإبي - أخ قديم - وكانت إصابته غير قاتلة، لكنها ستترك إعاقة.

فسألته عن الأمر، فقال: (كنا نسكن بالقرب من بيت "مؤسسة الوفاء" عندما قصفت بكروز، وعندما انتهينا من رفع الشباب وإخراج عبد الواحد، تشاور الإخوة في الـبيت وخشوا أن يكـون مراقبـاً أيضـاً، فأخرجنا النسـاء وتحركنا بهن إلى البيت الـذي بجـواره، وبقى الأخ مـروان - سـائق السيارة البيك أب - يساعد في نقل الشـباب الـذين كـانوا في بيت "مؤسسة الوفاء" إلى أماكن أخـرى، ثم عـاد في الليل وما أن دخل حـتى سـمعنا صـوت الصـاروخ يضـرب سـيارة مـروان، وكـان من الواضح أنهم رصـدوا حركة السيارة وتابعوها.

فأخرجنا النسـاء بسـرعة، وأرسـلناهن إلى القـرى، وكـان معنا سـيارتان وبقيت أنا وعاصم اليمـني قريبـاً من البيت نحاول أن نرفع بعض الأغـراض، وأثنـاء ذلك أطلقت الطـائرة الصـاروخ الثـاني، كنت أرى الصـاروخ يتحـرك باتجاهنا فـانبطحت ونـزل الصـاروخ قريبـاً من الأخ عاصم ولم أدر ما حدث بعدها).

فطمأنته على عاصم وعلى نفسه، وسـألت الطـبيب عن حالته، فـرجح ذهابه إلى باكسـتان لإتمـام العلاج، فأبلغت الإخوة أن يرتبوا ذلك في الصباح.

رجعت إلى الموقع الجديد - الذي تركت فيه الإخـوة - وما أن دخلت حتى سمعنا أصوات اشتباك بعيد في طرف الغـرب، وكـان الاشـتباك بـالهليكوبتر والـ "سي 130" المجهزة بـ "شلكا".

اسـتمر الاشـتباك قريبـاً من نصف سـاعة و "مركز صـقر" يخـبرني؛ أن الضـرب في اتجـاه قرية "بـانجواى"، فخشيت على الأسر التي تحركت على الطريـق، فصـمتُّ أفكر، لكن صـوت أبي علي السـوري قطع عليّ الصـمت

وهو ينادي بعصبية: (يا عبد الأحـد.. الكلاب رشّـونا وقتلـوا النســـــاء)، فقلت له: (أين؟)، فقـــــال: (على طريق "بانجواى")، فقلت له: (أنا في الطريق لكم).

سمع الإخوة كلهم الخـبر، فتحركـوا إلى هنـاك، وكـان الفجر قد دخل، فصــليت مســرعاً، وأخــذت معي أبا عبد الرحمن المصري وتحركنا إلى القرية.

وعلى الطريق وجــدنا المأســاة، الــتي ولــدت قصة وعظة من أعجب ما يكـــون عنـــدما يقـــدر الله فلا راد لقضائه.

فعندما أحس بعض الإخوة في قرية "بانجواى" بكثافة الضــرب في طـرف المدينة، ورأى كثافة الطـيران فــوق قطاع "قندهار" وضواحيها، خشوا على أولادهم.

ففي أحد الـبيوت - وكـان يضم سـتة أسر من الإخـوة العرب الذين تزوجـوا جميعـاً من المغـرب العـربي - قـرر الرجـال الخـروج بالنساء في أربع سـيارات، وينـامون في الخلاء، في نفس هذا الوقت كان هناك سـيارتان قادمتـان بالنســاء اللــواتي قصف بيتهن قبل قليل، فـرأوا سـيارات المغاربة على مســافة مائة مــتر جــانب الطريق واقفــة، فـــالتقوا على الطريق وأدركهم بعد قليل الأخ ســـراقة اليمني ومعه الأخ حمزة السوري.

وقفت السيارات المتابعة من الطائرات وتكلم الإخوة قليلاً، ثم انطلقـــوا في اتجـــاه القرية، وما أن وصـــلت المسافة بين الفريقين قرابة 1.5 كم؛ حتى بدأت طائرات الهليكوبتر بالاشتباك معها، ووصلت الـ "سي 130" لتدخل في معركة مع النساء.

ضُربت السيارة الأولى - وكـان فيها أبو على اليـافعي وزوجته وأربع نساء وطفلان - كما ضربت السيارة الثانية - سـراقة اليمـني وحمـزة السـوري - أما السـيارة الثالثة - والـتي كـان فيها أبو علي المـالكي وأسـرته - عنـدما رأي القصف على الســيارتين؛ انــدفع مســرعاً باتجــاه الجبل، محاولاً الهروب من الطائرة، فأغلق نور السيارة وطار بها على الأرض الـــوعرة - كل الســـيارات كـــانت "كـــرولا ستيشن" - حتى اختفى عن الطائرات.

كانت إصابة الضربة الأولى؛ غـير قاتلة، إلا أنها عطلت السـيارات، فانــدفعت النسـاء منها يجـرين في الصـحراء باتجـاه الجبل ومعهم الرجـال الثلاثة وطفل في الثالثة من

عمـــره وأخته الرضــيعة تحملها أمهــا، النســـاء كن يلبسن الخمار الأفغاني وكن واضحات، لكن الحقد الأعمى لقـادة الطــائرات الهليكوبــتر المجــرمين لم يفــرق بين النســاء والرجــال والأطفــال؛ فـأطلق عليهم الصــواريخ، ورشــهم بالرشاشـات حـتى بعد أن سـقطن على الأرض شـهيدات، اسـتمر المجرمـون يضـربون أجسـادهن الطـاهرة العفيفة حــتى تمــزقت قطعــاً صــغيرة، وتمــزق جسد الرضــيعة، وتشـــتت جسد الغلام، ولم يبق حـــتى أوجههن المتوضـــئة المنـــيرة، وأســـلمن أرواحهن لـــربهن في ثـــاني قافلة من النسـاء الشـهيدات، أما الرجـال فكـانت أجسـامهم الطيبة سليمة.

وعلى الجـــانب الأخر قصـــفت الســـيارات الـــتي بها المغاربة الذين عندما سـمعوا الاشـتباك؛ بـادروا بـالتحرك، فأصـيب منهم عبد الوهـاب المصـري وأبو علي السـوري، واستشهدت أول امرأة من المغرب العربي بعد أن أصاب بدنها الطاهر أكثر من عشرين طلقة.

تجمع العـــــــرب والعجم من كل مكـــــان في موقع الجريمة؛ كان المنظر مهيباً، وكان العرب أكـثر تجلـداً من الأفغـان، الـذين انهـاروا من هـول ما رأوا، وبـدأ الشـباب يجمعون قطع الأشلاء، فهذه يد الطفل، وتلك فروة شـعر، وهذه قطعة لحم، وهنا جلد لا ندري لمن.

أمـرت الإخـوة بالانصـراف خشـية عـودة الطـائرات، وأرسـلت مجموعة للقرية لحفر القبـور، ووكلت مجموعة بجمع الأشـلاء، فجمعـوا المتبقي من أجسـاد خمس نسـاء والطفلين في "جـــوال" واحد ورفعت أجســـاد الإخـــوة ودفناهم جميعـاً في "بـانجواي"، عـدا الأخت المغربية فقد دفنت في مقـــابر قنـــدهار الـــتي بها الشـــيخ أبو حفص وإخوانه.

كـــانت حصـــيلة ليلة الأمس من الشـــهداء تضم من الرجـال؛ أبا عاصم اليمـني، أبا على اليـافعي - الـذي كـان حارســاً ســاعة قصف بيت الشــيخ أبي حفص ونجا من القصف سـاعتها – سـراقة اليمـني، أبا حمـزة السـوري - الذي أخرجناه قبل يومين من تحت الردم مع أبي حفص –

أما النساء - وكلهن من اليمن إلا واحدة – فكن؛ زوجة أبي علي اليـافعي، زوجة أبي أسـامة الكيـني، زوجة ريـان التعزي، زوجة أبي أسـامة التعـزي وطفليه، وزوجة الزبـير الضالعي - التي كـانت تنتظر زوجها ليأخـذها – وزوجة أبي البراء الحجازي - وهى من المغرب العربي –

تحركت إلى القرية لمراسم الدفن وفي صدري يتردد صدى قول الله تعالى: {قل إن المـوت الـذي تفـرون منه فإنه ملاقيكم... ملاقيكم... ملاقيكم}.

سـبحان الله! لقد كـان اللفظ دقيقـاً ومنطبقـاً على الحدث تماماً.

لقد تحـرك الإخـوة بالنسـاء من طـرف قنـدهار إلى وسـطها خشـية عليهن من المـوت، ثم تحركـوا الثانية من وسـطها إلى القرية لموعد مع الشـهادة في بقعة محـددة من الأرض، وفي زمن لا يزيد ولا ينقص.

التقيت بالإخوة ورزقني الله ببعض كلمات تحـدثت بها معهم، مثبتـاً إيـاهم، ومؤكـداً أن هـذا من فضل الله على عبـاده أن يطلع عليهم وينظر إليهم ويا لحظ من نظر الله إليهم، ليصـطفي من الرجـال والنسـاء والأطفـال من يضمهم لقوافل الشهداء، وأكدت؛ أن نسـاءنا وأطفالنا هم أمانة عندنا لله، وعندما يطلب سـبحانه أمانته فلا نملك إلا التسـليم له والصـبر على ما أراد، وذكـرت الأخ أبا أسـامة التعزي؛ أن طفليه يأخذان بيـده إلى الجنة يـوم القيامة إن شاء الله.

ثم انطلقت لرؤية أسـرتي الـتي لم أرها منذ أن تحـركت إلى كابل، محـاولاً أن أفهم رد فعل الحـدث على النساء، فقابلتني أهلي بابتسامة متهللة مستبشـرة - والله على ما أقول شهيد – وقالت: (هل سمعت ما حـدث؟ لقد إستشهدت الأخت أم علي اليـافعي مع زوجها في الحـال، أسأل الله أن يرزقني وإياك والأولاد الشهادة معاً مثلهما).

ولا عجب أن يصـدر هـذا منها، فأخوها استشـهد عـام 1988، وأبوها شيخ المجاهدين الشـيخ أبو وليد - أول من قدم إلى الجهاد من العرب عام 1979، وقائد عملية غلق مطاري خوست عام 1990 –

فسررت من مقابلتها، وسلمت على أولادي الخمسة، وتحركت إلى قندهار قريب الظهر.

عن مجلة صوت الجهاد
العدد الثاني، شهر شعبان / 1424 هـ


منبر التوحيد والجهاد